تتدرج في حركتها واقترابها من قضايا المجتمع العربي الفلسطيني. فهي تبدأ بطرح مطالب محدودة، لكنها تنطلق، فيما بعد، الى قضايا سياسية، لا تخصّ فقط العرب في الاراضي المحتلة منذ العام ١٩٤٨، وانما كذلك في الأراضي المحتلة منذ العام ١٩٦٧[٣٠].

ومن المنتظر ان تحمل المرحلة المقبلة مزيداً من تبلور المجتمع المدني الفلسطيني داخل اسرائيل، بحكم ان هذا المجتمع قد عرك جيداً الأساليب الاسرائيلية خلال أكثر من أربعة عقود عاشها في ظل الحكم الاسرائيلي، الأمر الذي سيضع اسرائيل أمام خيارات صعبة، قد تصل، بنظر البعض، الى مطالبة العرب بالحكم الذاتي، أو الانفصال عن الدولة والالتحاق بالقضية الفلسطينية الأم[٣١].

دور م.ت.ف. في بناء المجتمع المدني الفلسطيني

ان تطوّر المجتمع المدني الفلسطيني في فلسطين المحتلة، لا يعدّ، أبداً، ظاهرة منبتّة الصلة عن مجريات الحياة الفلسطينية بعامة. فالعمل على تأطير هذا المجتمع على أرض فلسطين التاريخية، وفي جميع أماكن الشتات، مثّل هدفاً أصيلاً من أهداف الحركة السياسية الفلسطينية. ذلك ان منظمة التحرير الفلسطينية، ككيان جبهوي فلسطيني، وكذا التنظيمات المنضوية في هذا الكيان، عملت جاهدة على تحقيق هذا الهدف. وربما يعود عدم وضوح الجانب المدني من انشغالات الأطر السياسية الفلسطينية، الى بروز الجانب العسكري مطوّلاً، وحيازة الكفاح المسلّح لواجهة الصورة الفلسطينية، فضلاً عن التركيز الاعلامي على أهمية هذا الجانب، بحكم علو صوت السلاح، وتكرار المواجهات الفلسطينية العسكرية مع الكيان الاستعماري الاسرائيلي، وذلك في مقابل الهدوء الذي يصاحب عمليات البناء الاجتماعي، وكثرة القيود التي أحاطت بهذه العمليات، بمثل ما أحاطت بالنضال المسلّح.

مهما يكن من أمر، فان الدور الذي تضطلع بعبئه منظمة التحرير الفلسطينية يتعدّى الادوار التي قامت بها حركات التحرير الوطني عادة. فهي لا تناضل من أجل نيل الحقوق السياسية للشعب الفلسطيني فحسب، لكن، أيضاً، من أجل اعادة بناء، وتركيب، مجتمع تناثرت أجزاؤه. اذ ان المنظمة تزخر بالمؤسسات المدنية التي تتجاوز، في نطاقها، الأبنية العسكرية. وفي الوقت الحاضر، على خلاف الفكرة التي شاعت منذ نحو عقدين، يمكن الزعم بأن النشاطات العسكرية لهذه المنظمة قد لا تكون في حجم وأداء انجازاتها المدنية.

ان الجانب المدني من نشاط منظمة التحرير الفلسطينية يثير الشهيّة للقول بوجود نمط فلسطيني للممارسة السياسية مختلف، في كثير في مظاهره، عن ممارسات البيئة الاقليمية العربية. بعبارة أخرى، ثمّة خصوصية فلسطينية في هذا الاطار. فالمشهد العام في المنطقة العربية، هو، كما سبقت الاشارة، ضعف مؤسسات المجتمع المدني، وحداثة الكثير منها، وخضوعها لرقابة الدولة، التي تهيمن على مختلف مظاهر النشاط الانساني، بل وربما تكرار الصدام بين قوى المجتمع المدني، ان طرحت نفسها، وبين السلطة. وهو مشهد له أسبابه ودواعيه. هذا في حين تنشأ المؤسسات المدنية الفلسطينية، داخل الارض المحتلة وخارجها، بتشجيع، ودعم، من الحركة السياسية. ولا يمتد هذا التشجيع فقط الى المؤسسات التي تأصلها المنظمة وأطرها السياسية، بل يشمل، أيضاً، تلك التي تبرز بوتيرة تلقائية من جانب جموع أبناء الشعب الفلسطيني. وكثيراً ما تقوم البنى الاجتماعية الوليدة بشكل عفوي، بطلب المساعدة من المنظمة، التي تستجيب لهذا المطلب، على اعتبار ان كل بناء فلسطيني يبتعد بالحياة الفلسطينية من الواقع الذي فرضته النكبة، ويجذّر الوجود الفلسطيني